

المستشرقون

وضررهم على الاسلام والشرق

بقلم الدكتور حسين المرادى

اطلعت أخيراً على رد الأستاذ الدكتور مبارك في عدد أغسطس على رأيي في المستشرقين ، وكنت أود أن أكون عند ظنه فتكون كلمته ختامية في الموضوع ، ولكنه سألني أن أعد له عشرة أشخاص من أعلام الأدب العربي الذين فننينا مباحثهم عن الذين يطلقون على أنفسهم نعت المستشرقين .

وسرى الأستاذ في ما يلى أسماء أعلام الأدب العربي والتاريخ في مصر في الوقت الحاضر ممن لا يتناولهم المستشرقون أنفسهم في مجهودهم مع الفارق العظيم بين ظروف الباحث العربي والمستشرق ؛ فالباحث المصري يستنزف ثروته ويقضى وقته في البحث والنشر دون معين أو مساعد، ولا أعلن نفس الأستاذ زكي مبارك معتبلاً بنتيجة تجاربه في نشر كتاب مثل « الأخلاق عند الغزالي » وغيره .

أما المستشرقون فيمكنني أن يكتبوا بعض السب والشتم والمنطق المعكوس في الاسلام ونبيه ، ويجدون من حكوماتهم مساعداً على النشر ، ومن المطبلين والمزمرين من يهرفون بما لا يعرفون حتى من نفس الشرقيين .

أريد دليلاً يا أستاذ ؛ قلب نفس العدد من « المعرفة » وانظر تجد اسم مرجليوث والاشادة بذكوره والمستشرقين ؛ وهل يعلم القراء من هو مرجليوث ؟. إني لسعيد أن مجهول ، ولكنني سأقتل لهم فقرة واحدة عما يهذى به ليعلموا أن فينا من يعرف الاسم ويعجل المسى . قال المدعو مرجليوث - في الفصل التاسع والثمانين من تاريخ العالم صحيفة ٢٣٦٤ - عن نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - وانه ابن عبد الله ما يأتي : إتنا نشك فيما إذا كنا نعرف شيئاً عن والد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن لقناة عبد الله تطلق على الشخص المجهول ، وربما كان لها هذا المعنى عند إملافها على والد النبي صلى الله عليه وسلم .

إذن لي أن أعتب على نفس صاحب مجلة « المعرفة » وحررها (١) أن يشيد بذكر رجل

(١) راجع تعليق المرادى على هذه العبارة في آخر المقال .

هذا شأنه، وهذا ما أردت من كتاباتي المتعددة عن المستشرقين أن يفتح الشباب الشرقي عينه، فيرى الحقائق كما هي لا كما يصورها المستشرقون الذين يريدون أن يستعبدوا عقولنا، وهم أجهل الناس بهم اللغة العربية نفسها، وأن يعمقوا في روحها، لأنهم لم يتعلموها إلا الحاجة في نفس يعقوب، ولذلك ترى مؤلفاتهم عن العرب والعربية باللغات الأوربية، وليس أعجب من رجل يتكلم عن العربية، ولا يكتب بها شيئاً.

فالمستشرقون دسائسون وهم ملاحق الاستعمار ومستعبدو العقول، فكم من مستشرق كان جاسوساً لإدخال البلاد العربية تحت نير الاستعمار، وكم لهم من تقارير في محاربة الدين الاسلامي واللغة العربية التي يزعمون خدمتها.

أتريدون مثلاً أيها السادة؟ إليكم تقرير لجنة العمل المغربي في أوروبا: وانظروا ماذا يقول (سيكارد): إن الاسلام في روحه الخاص قوة مخالفة لاحتياجاتنا ورجالنا ووزقاتنا، وهذه القوة يمكن تسكينها، ولا يستطيع التغلب عليها إلى الأبد، فمن مصلحتنا أن نعمل ما في طاقتنا لتقليل منه بين الشعوب الخاضعة لسلطاننا.

ويقول مستشرق آخر: «إن مصلحتنا تختم علينا أن نجعل تطور المسلمين خارج حوزة الاسلام».

وقد عرض التقرير المذكور لأنواع الأساليب التي تدرس بها اللغة العربية لطلبة المستشرقين مما لا يتعدى مسخ حقيقتها والعبث بها وتحقيرها: وشامت الصدف أن نجتمع بالآب أنستاس الكرملي، فعلنا منه أنه يصحح كتب المستشرقين - ولم يرض أن يذكر لنا أسماءهم -، وأنه يتناول عن كل صحيفة جنينياً، فأعلمنا ذلك في الحفلة التي أقيمت له، كما أعلنها «الصحافي المجهز» على صفحات «الأهرام»، ومن هذا يتضح لك أنهم مثل العالمة الضعفاء الذين يتقدمون صحافياً مبلغاً من المال ليكتب لهم موضوعاً لتشره في الجرائد، وهذا سر تلك الأغلط التي تراها في كتاب مثل دائرة المعارف البريطانية: «فمثلاً في لفظة مصر تقول إن الصعيد معناها الصعيد، أو The happy، ولو كتبها طالب في الشهادة الابتدائية لأخذ صفرأ، وكذلك عند ترجمة أبي بكر يذكرون معناها أبو البنت البكر، ولو قالها طالب صغير لقال له أستاذه يا بني! وسأنتل لقراله فقرة من كتاب (برينو) الذي يدرس للطلبة الفرنسيين باللغة العربية، قال:

«أتريد يا صاح أن تتعلم الكلام مع الأعمال الذين حولك، وأن تختبر المسلمين في زيارتك - مما تهيك معرفته، لا تفن أني سأعلمك لغة القرآن، فهذه اللغة قد ماتت ولا يتكلم بها أحد، فهي لا تباية العربي، وهي اللغة التي أنزل الله بها كتاب المسلمين، وهي لغة العبارات والاستغاثات والتحيات أحياناً، وهي كذلك اللغة المستعملة في جنة محمد، وسأحجب إليك دراستها المستقبل إذا أردت أن تتذوق حلالة الاجتماع بالحوار العين».

ومن هذه الأمثلة يتضح لك أن المستشرقين جهلاء متعصبون ، مهنتهم التبشير الاستعماري ضد القومية العربية الشرقية ، والاسلام بصفة خاصة ، إلا فئة قصرت نفسها على التسارع وأرادت أن تحترم نفسها ، وهي فئة قليلة يجب أن تتبينها بعد دراستها دراسة تامة ، حتى لا تجوز علينا تلك المغامز التي يتلاون بها الدنيا في تشويه سمعة الشرق والاسلام .
والذي يؤلنا هو أن تجوز حيلهم وشعوذتهم علينا ، وأكبر ما يهتنا أن نرى مظاهر الثقة بهم دون بحث آرائهم .

وها أنا أعدد أعلام الأدب العربي الذين يعرضون علينا مباحث المستشرقين ، وهم مع حفظ الألقاب :

طله حسين ، محمد حسين هيكل ، محمد عبد الله عنان ، مصطفى عبد الرازق ، زكي مبارك ، محمد لطفي جمعة ، محمد المرادوي ، محمد فريد وجدي ، الشيخ الكندري ، أحمد زكي باشا ، عبد الرحمن الراجحي ، أحمد أمين ، عبد الحميد العبادي ، منصور فهمي ، أحمد لطفي السيد ، أحمد حسن الزيات ، أنستاس الكرملي ، علي الجارم ، الأستاذ العوامري .

وكنتي الختامية ، أن الأستاذ مبارك رجل شريف يعترف مع أن الشرق يجب أن لا ينسى منطلقه عند قراءة المستشرقين ، هذه هي النقطة التي أرجوه أن يعمم نشرها ، وأن يذيعها لطلبته وفي مقالاته .

أما أنا شخصياً فأؤكد له أنني آخر من يهمة مباحث المستشرقين ، وإن كنت قد قنلت بعضها درساً ، وقد لفتتني لمقارنة الأديان فصرفت في ذلك وقتاً ضيقاً قليل ، وكوت لي رأياً عن المستشرقين من دراسة دامت وقتاً أكثر مما يظن الأستاذ ، فليس من السهل أن أنزع عن رأي كوته عن دراسة وخبرة في مدى خمسة عشر عاماً ، ولم يمنعني من نشر تلك المقارنات إلا أنني أريد أن أهدم كثيراً عن المباحث الدينية ، أما إذا أراد ناشر أن ينشرها فله أن يأخذها مكتوبة مبوية غفلا عن ذكر اسمي .

الدكتور حسين المرادي